

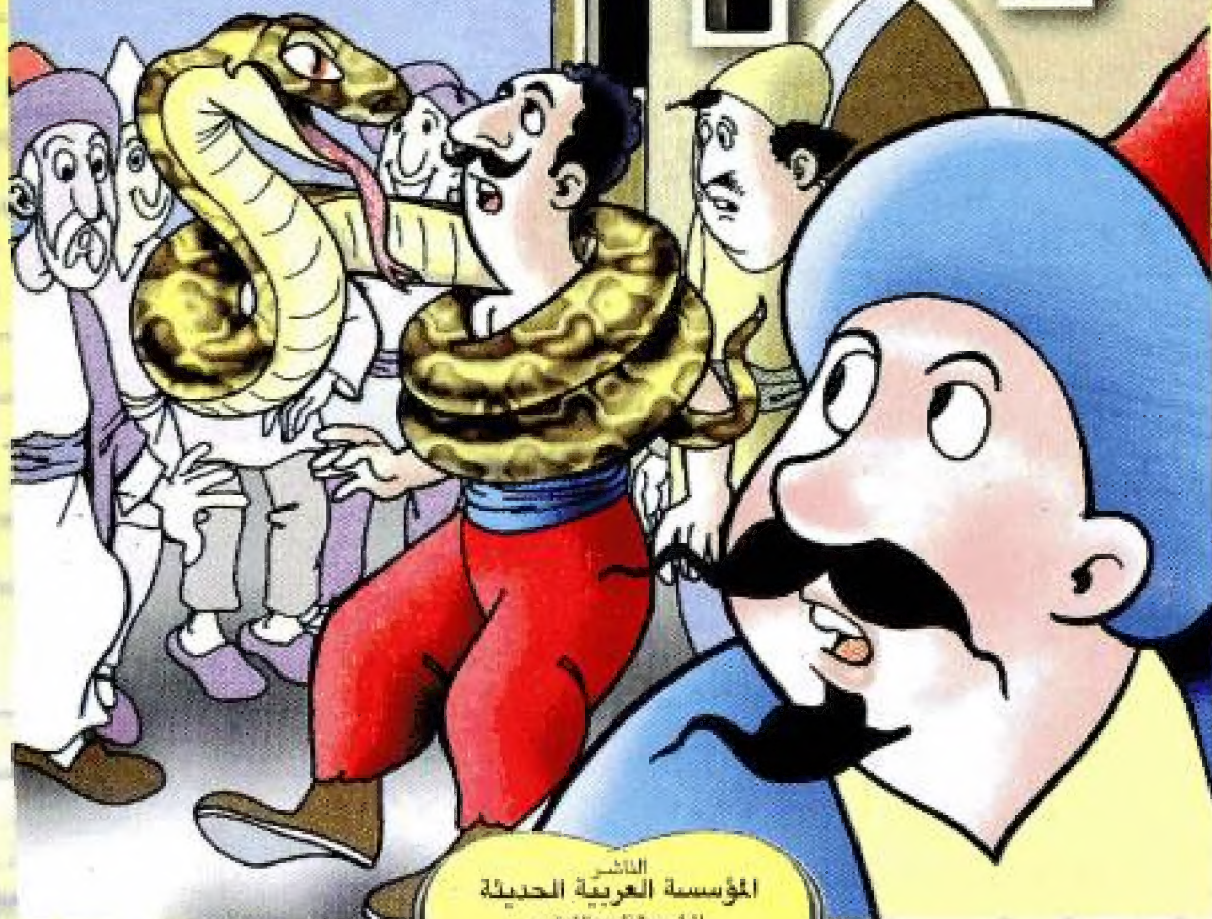
5

من نوادر أشعب



أشعب والحاي

بقلم : أ. وجيه يعقوب السيد
بريشة : أ. عبد الشافي سيد
إشراف : أ. حمدي مصطفى



الناشر
المؤسسة العربية الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع

ت : ٥٩٠٨٥٥ - ٢٨٣٥٥٥ - ٢٨٣٦٩٧

فاكس : ٢٨٣٧٠٠٢

كانت الشمس تميل للغروب عندما دخل (أشعب) بيته ، بعد
يوم عمل شاق للغاية . أغلق (أشعب) باب حُجْرته على نفسه ،
وفتح كيس نُقُوده ، وأخذ ينظر إليه ملياً ، ثم وضع فيه درهماً ،
كان قد كسبه من عمله طوال اليوم .

كان (أشعب) ينظر إلى الدرهم نظرة حنين ولهفة ، ثم يخاطبه قائلاً :
- أيها الدرهم الحبيب ، كم من مسافة قد قطعت ، وكم من
كيس قد فارقت حتى وصلت إلي ؟! أقسم إن لك على عهداً ألا
أهينك ولا أخرجك من كيس نُقُودي هذا أبداً ، فادخل على
بركة الله إلى مكان لا ترى فيه النور أبداً .



انْتَبَهَتْ زَوْجَةُ (أَشْعَب) إِلَى هَذَا الصَّوْتِ الصَّادِرِ مِنْ حُجْرَةِ
زَوْجِهَا ، فَاسْرَعَتْ نَحْوَهُ وَدَفَعَتْ الْبَابَ ، فَإِذَا (أَشْعَب) عَلَى تِلْكَ
الْحَالِ .. تَعَجَّبَتْ الزَّوْجَةُ وَقَالَتْ فِي دَهْشَةٍ :

- مَا هَذَا يَا رَجُلُ ؟ أَلَمْ تَرَ عَمَّ أَنْكَ مُفْلِسٌ لَا تَمْلِكُ دِرْهَمًا وَاحِدًا ؟

تَلْعَنُ (أَشْعَبُ) مِنْ أَثَرِ الْمُفَاجَأَةِ ثُمَّ قَالَ :

- إِنَّنِي أَفْعَلُ كُلَّ هَذَا مِنْ أَجْلِكُمْ يَا زَوْجَتِي الْعَزِيزَةَ .. أُرِيدُ أَنْ

أَتْرُكَكُمْ أَغْنِيَاءَ بَدَلًا مِنْ أَنْ تُصْبِحُوا فَقَرَاءَ تَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ .



مَسَحَتِ الزُّوجَةُ دُمُوعَهَا ، وَغَالَبَتْ أَحْزَانَهَا وَهِيَ تُوبِّخُ
(أَشْعَبُ) قَائِلَةً :

- إِنَّ ابْنَتَكَ الصَّغِيرَةَ تَشْتَهِي أَنْ تَأْكُلَ الْحَلْوَى مِنْذُ شَهْرٍ ،
وَكَلَّمَا طَلَبْتُ مِنْكَ أَنْ تَشْتَرِيَ لَهَا الْحَلْوَى تَعَلَّلْتَ بِالْفَقْرِ
وَالفَاقَةِ .

ثُمَّ أَضَافَتْ قَائِلَةً :

- إِنَّكَ أَبٌ قَاسٍ لَا تَعْرِفُ الشَّفَقَةَ وَلَا الرَّحْمَةَ .. كَيْفَ تَتْرُكُ
ابْنَتَكَ عَلَى مِثْلِ هَذَا الْحَالِ وَأَنْتِ تَكْنِزُ الْمَالَ أَيُّهَا الْبَخِيلُ !؟



لم يتحمل (أشعب) بكاء زوجته ، فرق قلبه لحالها وحال ابنته ،
فمد يده في تقاعس وأخرج درهمًا وناولها إيَّاه ، ودموعه
تسيل على خده وهو يقول :
- اذهب في أمان الله أيُّها الدرهم الحبيب ، فوالله ما عزُّ
على شيء ، مثلما عزُّ على فراقك ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ،
ولا حول ولا قوة إلا بالله .



أَخَذَتْ زَوْجَةً (أَشْعَبُ) الدَّرْهَمَ مِنْهُ بِسُرْعَةٍ قَبْلَ أَنْ يُفِيقَ مِنْ
سَكْرَتِهِ ، وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ غَيْرَ مُصَدِّقَةٍ وَقَالَتْ :

- مَا هَذَا يَا (أَشْعَبُ) ، أَتَبْكِي وَتَوَلَّوْا مِنْ أَجْلِ دِرْهَمٍ ؟

وَفِي حَسْرَةٍ وَمَرَارَةٍ أَجَابَ (أَشْعَبُ) :

- أَجَلٌ يَا امْرَأَةً ، فَمَا اسْتَحَقُّ أَنْ يُوَلَدَ مِنْ فَرْطٍ فِي دِرَاهِمِهِ بِهِذِهِ

السُّهُولَةِ ..

ثُمَّ أَضَافَ قَائِلًا قَبْلَ أَنْ يَتَّجِهَ إِلَى الْبَابِ خَارِجًا :

- وَعَلَى أَيَّةِ حَالٍ ، لَا تَنْسَى أَنْ تَتْرَكِي لِي نَصِيبِي مِنَ الْحُلُوفِ

حَتَّى أَعُودَ ..



خرج (أشعب) مُطَرِّقَ الرَّأْس ، بَيْنَمَا أَقْبَلَتِ الْأُمُّ عَلَى ابْنَتِهَا
تَرْفُؤُ إِلَيْهَا الْبُسْرَى وَالْأَخْبَارَ السَّارَّةَ .

اِحْتَضَنَتِ الْبِنْتُ أُمَّهَا وَهِيَ تَقُولُ :

- أَخِيرًا اسْتَطَعْتَ إِقْنَاعَ أَبِي ؟ يَا لَهَا مِنْ مُعْجَزَةٍ !

ابْتَسَمَتِ الْأُمُّ وَقَالَتْ وَهِيَ تَدَاعِبُ ابْنَتَهَا قَائِلَةً :

- لَقَدْ أَقْنَعْتَهُ بِسِلَاحِ الْمَرْأَةِ الْوَحِيدِ يَا ابْنَتِي ، بِالْبُكَاءِ ..

وَأَضَافَتْ الْأُمُّ قَائِلَةً :

- وَعَلَى أَيَّةِ حَالٍ ، فَسَوْفَ أَحْضِرُ لَكَ مَا تَشْتَهُينَ مِنْ
الْحَلْوَى !



وبَيْنَمَا كَانَ (أَشْعَبُ) يَسِيرُ فِي الطَّرِيقِ مَهْمُومًا وَحَزِينًا ،
بَسَبَبِ تَفْرِيطِهِ فِي هَذَا الدَّرْهِمِ ، إِذْ قَابَلَ صَدِيقًا لَهُ كَانَ بِخِيَلًا مِثْلَهُ
فَحَدَّثَهُ بِقِصَّتِهِ فَقَالَ :

- مَا هَذَا يَا (أَشْعَبُ) ؟ كُنْتُ أَظُنُّكَ أَعْقَلَ مِنْ هَذَا !

لَكِنْ (أَشْعَبُ) رَدَّ قَائِلًا :

- وَمَاذَا كُنْتُ تَنْتَظِرُ مِنِّي أَنْ أَصْنَعَ حِيَالَ بُكَاءِ ابْنَتِي وَأُمِّي ؟

وَعَلَى الْفَوْرِ أَجَابَ الْبَخِيلُ قَائِلًا :

- الصَّبْرُ عَلَى بُكَائِهِمَا ، أَفْضَلُ مِنَ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ عَلَى

تَبْدِيدِ الْأَمْوَالِ .



مال (أشعب) على صديقه البخيل قائلاً :
- إننا أمام دارك ، والجو كما ترى حارٌ ، فهل جئتنا بقليل
من الشراب ؟

ابتسم البخيل ابتسامةً ساخرةً وقال :
- يالك من أحمق ، لو تدبرت في نصيحتي لك ما طلبت مثل
هذا الطلب .

سأل (أشعب) : - وكيف ؟

فأجاب البخيل :

- لأنه لا يُعقل أن أنصحك بعدم تبديد أموالك
ثم أبددها أنا ؟

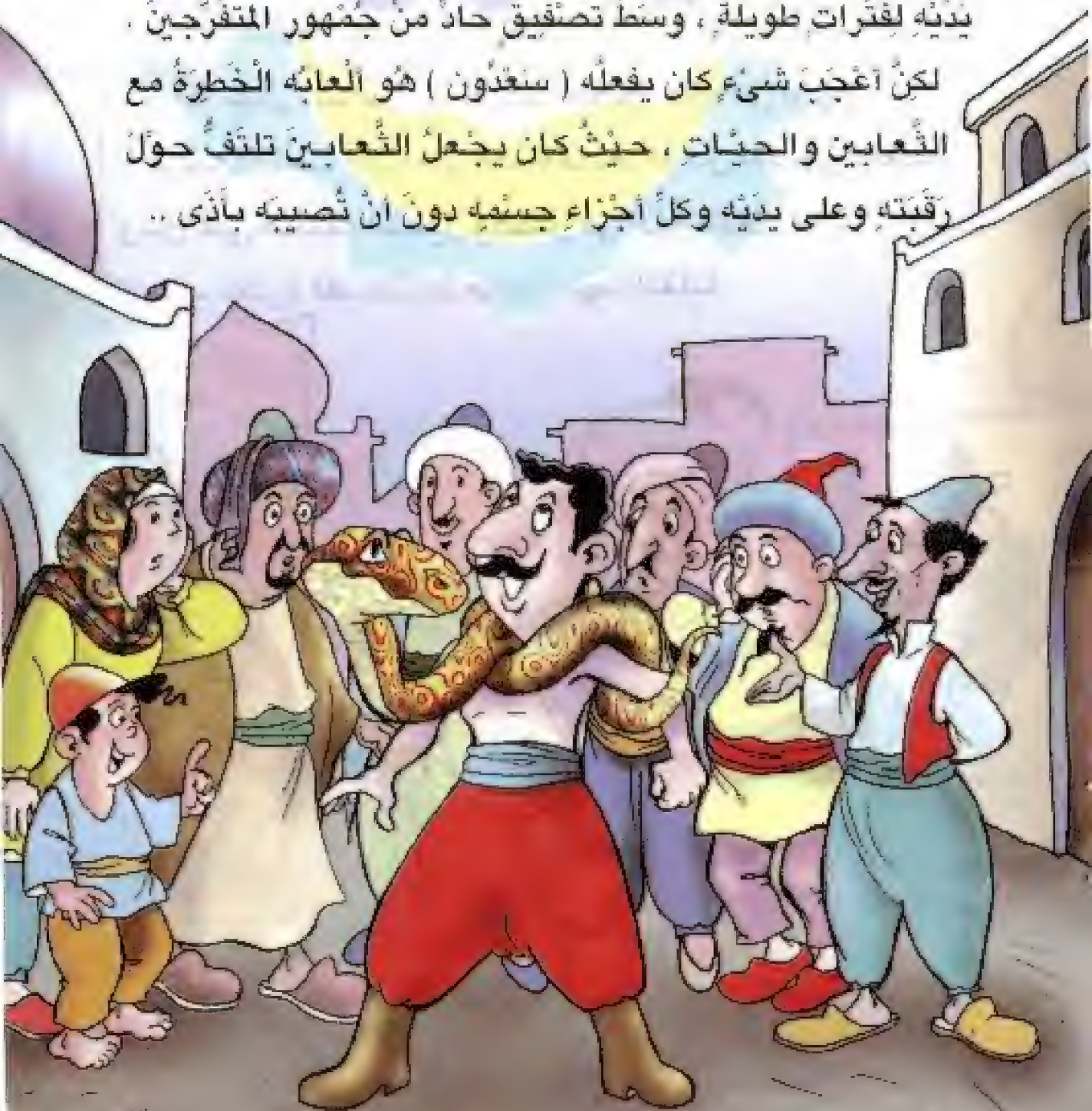


ثم مال البخيل على (أشعب) قائلاً :
- لدى اقتراح أفضل ، وهو أن نذهب لمشاهدة (سعدون)
الحاوي وهو يلاعب الثعابين والحيات في الميدان الكبير .
تعجب (أشعب) وسأل صديقه قائلاً :
- وهل يجزؤ أحد على الاقتراب من الثعابين ؟
اجاب البخيل قائلاً :
- تعال لترى بنفسك !
انطلق (أشعب) بصحبة صديقه البخيل إلى الميدان الكبير



لِكَيْ يَشَاهِدَا (سَعْدُونَ) الْحَاوِي .

كَانَ (سَعْدُونَ) يَأْتِي بِحَرَكَاتٍ بَهْلَوَانِيَّةٍ صَعْبَةٍ لِلْغَايَةِ يُمَكِّنُ
أَنْ تُعَرِّضَ حَيَاتَهُ لِلْخَطَرِ ، فَكَانَ يَقْفِزُ فِي الْهَوَاءِ ، وَيَمْشِي عَلَى
يَدَيْهِ لِفَتَرَاتٍ طَوِيلَةٍ ، وَسَطَ تَصْفِيقٍ حَادٍّ مِنْ جَمْهُورِ الْمُتَفَرِّجِينَ ،
لَكِنْ أَعْجَبَ شَيْءٌ كَانَ يَفْعَلُهُ (سَعْدُونَ) هُوَ الْعَابَةُ الْخَطِرَةُ مَعَ
الثَّعَابِينَ وَالْحَيَّاتِ ، حَيْثُ كَانَ يَجْعَلُ الثَّعَابِينَ تَلْتَفُّ حَوْلَ
رَقَبَتِهِ وَعَلَى يَدَيْهِ وَكُلَّ أَجْزَاءِ جَسْمِهِ دُونَ أَنْ تُصِيبَهُ بَأَذَى ..



همس (أشعب) فى أذن صديقه البخيل قائلاً :
- إن هذا الرجل يُعرضُ حياته للخطر هكذا ، من أجل
إضحاك الناس فقط !!

ضحك البخيل وقال له (أشعب) :
- إنه يفعل ذلك من أجل درهم يحصل عليه فى النهاية .
تراجع (أشعب) إلى آخر الصفوف بعد أن كان يقف فى المقدمة ،
ومال على صديقه البخيل وهمس فى أذنه قائلاً :
- معذرة فقد تذكرت موعداً مهماً للغاية .



أسرع (أشعب) عائداً إلى منزله ، ودقَّ بابَ البيتِ بقوةٍ وبِعُنفٍ ،
فظنَّتْ زَوْجَتُهُ أَنَّ كَارِثَةً قَدْ وَقَعَتْ ، وفتَحَتِ البابَ فإذا بـ (أشعب)
يندفعُ إلى الدَّاخلِ مُضطرباً وهو يلتهثُ مِن أثرِ الجَرَى السَّريعِ .
سألَ (أشعب) زَوْجَتَهُ في لَهْفَةٍ :

- هلِ اشْتَرَيْتُمُ الحُلُوى بالدَّرْهَمِ الَّذِي أَخَذْتُمُوهُ مِنِّي ؟
فأجابَتِ الزَّوْجَةُ :
- لَمْ نَشْتَرِ بَعْدُ .

وهنا التَّقَطَّ (أشعبُ) أنْفاسُهُ
وهو يَقُولُ :

- الحَمْدُ لِلَّهِ .. الحَمْدُ لِلَّهِ !



تَوَجَّسَتْ الزَّوْجَةُ خِيفَةً وَشَعَرَتْ بِالْأَرْتِيَابِ ، فَقَدْ كَانَتْ هَيْئَةً
(أَشْعَبَ) لَا تَبْعَثُ عَلَى الْأَطْمِئْنَانِ ، فَسَأَلَتْهُ مُخْتَبِرَةً :

- عَلَامَ تَحْمَدُ اللَّهُ يَا رَجُلَ ؟

وَفِي هُدُوءٍ شَدِيدٍ قَالَ (أَشْعَبُ) مُجِيبًا :

- أَحْمَدُ اللَّهُ لِأَنَّ الْمَالَ الْحَلَالَ لَا يَذْهَبُ عَبَثًا ، وَقَدْ عَادَ إِلَيَّ
دِرْهَمِي .

قَالَتِ الزَّوْجَةُ :

- كَيْفَ تَرْجِعُ فِي كَلَامِكَ يَا رَجُلَ ، أَلَمْ تَمْنَحْنَا هَذَا الدَّرْهَمَ كَيْ
نَشْتَرِيَ بِهِ الْحَلْوَى ؟



خَطَفَ (أَشْعَبُ) الدَّرْهَمَ مِنْ يَدِ زَوْجَتِهِ وَقَبْلَهُ ثُمَّ وَضَعَهُ فِي
كَيْسِ النُّقُودِ مَرَّةً أُخْرَى وَقَالَ :

- لَمْ أَرْجِعْ فِي كَلَامِي يَا زَوْجَتِي الْعَزِيزَةِ ، وَلَكِنِّي رَأَيْتُ
الْعَجَبَ الْعَجَابَ ، رَأَيْتُ (سَعْدُونَ) الْحَاوِيَّ يُعَرِّضُ نَفْسَهُ
لِلْمَوْتِ مِنْ أَجْلِ دَرْهَمٍ يَخْصُلُ عَلَيْهِ فِي آخِرِ الْعَرَضِ ، فَقُلْتُ فِي
نَفْسِي : إِنَّ هَذَا لَهُوَ عَيْنُ الْإِسْرَافِ وَالتَّبْذِيرِ ، فَرَجُلٌ يَدْفَعُ
حَيَاتَهُ ثَمَنًا لِدَرْهَمٍ ، وَنَحْنُ بِكُلِّ بَسَاطَةٍ نَشْتَرِي بِهِذَا
الدَّرْهَمَ حُلًوً .. أَلَيْسَ هَذَا تَبْذِيرًا
وَإِسْرَافًا ؟



تبادلتِ الزُّوجَةُ النُّظْرَاتِ مَعَ ابْنَتِهَا الْمِسْكِينَةِ ، وَقَالَتْ وَهِيَ
فِي دَهْشَةٍ مِنْ أَمْرِهَا :

- صَدَقَ الْمَثَلُ الْقَائِلُ : « قَلْبُ الْبَخِيلِ يَحْتَرِقُ » .

لَكِنْ (أَشْعَبَ) دَخَلَ حُجْرَتَهُ ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ شَيْئًا ، وَفَتَحَ
كَيْسَ نَفْوْدِهِ وَأَخَذَ يَتأملُ دَرَاهِمَهُ ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ رَاحَ فِي نَوْمٍ
عَمِيقٍ ، وَهُوَ يَحْتَضِنُ كَيْسَ الدَّرَاهِمِ .

(تَمَّت)

رقم الإيداع : ١٦٥٠

